Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة

تعتبر فكرة القومية العربية فكرة حديثة جدا بالنسبة لتاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ذلك أنه منذ أواخر القرن التاسع عشر أظهر المفكرون العرب المتأثرون بالمؤسسات التعليمية والثقافية فى أقطار الوطن العربى والمرتبطة بأوربا ، أظهر هؤلاء المفكرون اتجاهات وطنية تهدف فى المقام الأول الاستقلال عن الدولة العثمانية (١) .

وكانت الفكرة الدينية هى السائدة بين المواطنين العرب ولم يجدوا غضاضة فى أن يحكمهم المماليك أو الأتراك العثمانيون ماداموا مسلمين ، فلما سقطت الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى تحول كثير من أنصار الجامعة الإسلامية إلى فكرة الاتحاد العربى أو الجامعة العربية مع اختلاف كبير فى الرأى حول شكل هذه الدولة وزعامتها . وهل يمكن أن يكون الهاشميون هم رمز هذه الرابطة أم أن زعامتهم غير مقبولة لأن الشام أكثر تحضرا من الحجاز موطن الأسرة الهاشمية (٢).

وهكذا نجد أن العرب فكروا فى جمع الشمل بعد الحرب العالمية الأولى تجاوزا للتجزئة التى فرضتها الدول الأوربية الاستعمارية عليهم ، وبعد أن فشلت مشروعات الشريف حسين بن على شريف مكة وزعيم الهاشميين فى إقامة الدولة العربية الموحدة والتى تضم بلاد الشام بأقسامها المعروفة حاليا « سوريا ولبنان وفلسطين والأردن » إلى جانب كل من العراق والحجاز (٣).

ومن ثم تتالت مشروعات الاتحاد فى الساحة العربية انطلاقا من وجود شعور عام مشترك يشمل مختلف الأقطار العربية دون أن يكون هناك من يقصد ذلك أو يسعى إليه ، أوجدته حركة انتشار الصحافة والطباعة والنشر والإذاعة والتمثيل والشعر والآداب وغيرها من الوسائل التى تساعد على اتصال الأفكار وتدانيها (٤).

وقد ساد اعتقاد بأن تحقيق فكرة الاتحاد بين الأقطار العربية بأى شكل من أشكال الاتحاد إنما جاءت أول مرة علي لسان المستر أنتونى إيدن Anthony Eden وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية فى تصريحه الذى أدلى به فى " المانشن هاوس " فى ٢٩ مايو ١٩٤١م والذى جاء فيه ما نصه :

" إن العالم العربى قد سار أشواطا كبيرة منذ التسوية التى تمت عقب الحرب العالمية الأولى ، وأن كثيرين من مفكريه يرجون لشعوبهم درجة من الاتحاد أكثر مما هم فيه الآن ، وهم يتطلعون إلى التأييد البريطانى ، ويجب ألا نخيب رجاء أصدقائنا ، وهنا أقرر أنه من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبيعى كما أنه من حق العرب أن تتقوى الروابط الاقتصادية والثقافية بين الأقطار العربية وأيضا الروابط السياسية ، ومن ثم فان حكومة جلالة الملك ستؤيد كل خطوة من هذا القبيل تجد استحسانا عاما بين العرب (٥).

وقد بولغ فى تأثير تصريح إيدن هذا لدرجة اعتباره الخطوة الأولى نحو إنشاء الاتحاد العربى ، والحقيقة أن بريطانيا كانت فى ذلك الوقت (٦) تشعر بحاجتها إلى تعاون العرب فرأت أن تلوح لهم بأمنية طالما راودتهم بالفعل خاصة وأن الألمان قد أصدروا تصريحا بتأييد استقلال الأقطار العربية فلا بأس من أن ينافسهم الإنجليز بتصريح مشابه (٧).

والصحيح أن العرب بعد الحرب العالمية الأولى نظروا إلى الانتداب الإنجليزى الفرنسى فى أقطار المشرق العربى باعتباره عقبة فى طريق تحقيق أمانيهم المتطلعة لقيام «امبراطورية» عربية مستقلة ، وهذه الأمانى تستند إلى الوعود التى أعطيت للعرب أثناء الحرب العالمية الأولى ، ومن ثم كان هدفهم العمل على إنهاء الإدارة الإنجليزية الفرنسية لبلادهم ، وقد استغرق الجهد العربى فى هذا المجال طوال فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية(٨) .

وقد حدث بعض التقدم لتحقيق الهدف العربى المتمثل فى إنهاء الانتداب الأجنبى على الأقطار العربية وتحقيق الاستقلال لكثير منها . ومن ذلك إعلان استقلال مصر عام ١٩٢٢م ، والعراق عام ١٩٣٢م ، وتوقيع اتفاق بين فرنسا وكل من الوطنيين فى سوريا ولبنان عام ١٩٣٦م يعطى لكل من سوريا ولبنان الحق فى أن تكونا دولتين مستقلتين ، وإن كان الفرنسيون لم يحترموا هذا الاتفاق ، وبالتالى لم يوضع موضع التنفيذ (٩).

كما أن الأقطار العربية التى مازالت تحت الانتداب الإنجليزى والفرنسى رسميا أو تلك التى تتمتع باستقلال رسمى معترف به قد أخذت قبل الحرب العالمية الثانية تتمع باستقلالها فى تصريف شئونها وبصورة شبه كاملة ، ومن بين هذه النظرة العربية للاستقلال فى تدبير الأمور تعتبر الحركة السائدة بين العرب لتحقيق نوع من الاتحاد بين أقطارهم أمرا طبيعيا يتفق مع الحقائق الأساسية والمقومات العربية بعد الاستقلال (١٠).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشـــــروع ســـوريا الكـــبرى

كان الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرقى الأردن الوحيد الذى استجاب لتصريح المستر أنتونى إيدن ورأى فيه فرصة ذهبية لتحقيق طموحه والخروج عن نطاق إمارته الصغيرة ، وكانت سياسته منذ مدة قد اتجهت إلى استغلال ظروف الحرب لتحقيق ذلك الطموح ، فقد تطوع بارسال جزء من فرقته العربية التى يقودها ضباط بريطانيون للمساهمة فى قمع حركة رشيد عالى الكيلانى بالعراق متحديا بذلك الشعور القومى . ولا شك أن هذا التدخل أضر بسمعة الأمير ولم يحقق له فائدة إذ أن معظم الوطنيين العرب اعتبروا ثورة الكيلانى حركة وطنية تحررية (١١).

كما أن الأمير عبد الله انتهز فرصة استيلاء انجلترا وحكومة فرنسا الحرة علي دمشق فى يونيو ١٩٤١م ، وبدأ يعمل من أجل تحقيق أطماعه فى تكوين سوريا الكبرى تحت حكمه بضم سوريا ولبنان وفلسطين إليه فاتخذ الإجراءات الآتية : -

أولا : إرسال عدة برقيات إلى السير ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى يذكره فيها بحق الأسرة الهاشمية فى عرش سوريا منذ عام ١٩١٦م .

ثانيا : إتخاذ مجلس وزراء شرقى الأردن برئاسة الأمير عبد الله قرارا فى أول يوليو ١٩٤١م رحب فيه بتصريح المستر أنتونى إيدن وتحدث عن الوحدة بين البلاد السورية ، وليس الوحدة العربية ، وضمان الولاء للحلفاء .

ثالثا : بعث الأمير عبد الله فى ١٦ يوليو ١٩٤١ برسالة إلى المستر " أوليفر لتيلتون " وزير الدولة البريطانى لشئون الشرق الأوسط تحدث فيها أيضا عن الوحدة السورية برئاسته هو .

رابعا : طالب الأمير عبد الله فى ٦ يناير ١٩٤٢م بريطانيا بأن ترفع عنه الانتداب حتى يصبح مثل الدول الأخرى وليكون قادرا على تحقيق وحدة الأردن وسوريا (١٢).

خامسا : كان الأمير عبد الله متخوفا من فكرة الوحدة العربية الشاملة حتى لا يفقد الزعامة ولذلك يبعث ببرقية إلى نورى السعيد فى ٢٤ يونيو ١٩٤١م يقول فيها - كما جاء فى كتاب الدكتور أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر ما نصه : إن مسألة إيجاد وحدة عربية أو اتحاد عربى مسألة موهومة خطيرة ، لذلك فمن واجب بغداد وعمان السعى للسير على سياسة هاشمية موحدة مع صرف المساعى للقضاء على من يريد إخراج القضية العربية عن مبادىء النهضة الأولى فى القطر السورى الذى قام بعد تفاهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سعودى سورى لبنانى خطير . وبذل الجهد لإحياء أنصار الثورة (يقصد الثورة العربية الهاشمية الكبرى) مرة أخرى بهذه الديار وإعادة الدعوة الهاشمية (١٣).

ونتيجة لهذه الجهود التى بذها الأمير عبد الله كانت كل الاستجابات سلبية وتمثلت فيما يلى :

١ - بالنسبة لبريطانيا ، فقد طلبت من الأمير إرجاء النظر فى الموضوع لأنها كانت لاتريد ألا تورط نفسها بفرض أى مشروع اتحادى على الأقطار العربية ، وجاء فى الرد البريطانى مانصه : " إن كل تقارب مع الحكومة السورية أو أية حكومة أخرى من الحكومات التى تضعها حكومة شرق الأردن نصب عينيها ينبغى إرجاء ريثما تكون الحالة أكثر استقرارا (١٤).

٢ - وبالنسبة للعراق فقد استقبل نورى السعيد مشروع سوريا الكبرى بعدم اكتراث نظرا لأنه كان ينوى التقدم بمشروع الهلال الخصيب بزعامة بغداد ، وأظهر أنه مشغول باستقرار الأوضاع الداخلية فى العراق بعد القضاء على ثورة رشيد عالى الكيلانى .

٣ - وبالنسبة لسوريا ولبنان فان الوطنيين هناك لم يرحبوا بمشروع الأمير عبد الله لقيام دولة سوريا الكبرى حيث اختاروا النظام الجمهورى ، وأجريت الانتخابات حيث تسلم الحكم هناك فى دمشق وبيروت الوطنيون عام ١٩٤٣م .

٤ - وبالنسبة لمصر فيذكر الدكتور أنيس صائغ أن الأمير عبد الله كان يخشى أن تؤدى دعوة المستر أنطونى إيدن لتحقيق روابط بين الأقطار العربية التى وردت فى تصريحه المشار إليه سابقا إلى أن تحتل مصر الزعامة فى التحرك العربى باعتبارها أكبر الأقطار العربية ، ولذلك لم يفت الحكومة المصرية أن تستنكر محاولات الأمير عبد الله مد قوة الهاشميين إلى سوريا الكبرى انطلاقا من موقف مصر التقليدى من سيطرة الهاشميين على هذه المنطقة (١٥).

وهكذا تجمد مشروع سوريا الكبرى ، وبقى حلما يراود الأمير عبد الله ، حيث أصدر فى عام ١٩٤٧م ما عرف باسم الكتاب الأبيض الأردنى الذى أحتوى على وثائق هذا المشروع ، ولعل أهم عامل فى تجميد المشروع كونه يهدف إلى فرض وحدة إقليمية ضيقة ولتحقيق مجد شخصى لحاكم عمان ، ودون موافقة شعوب أقطار سوريا الكبرى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشـروع الهـلال الخصـيب

كان المشروع الوحدوى الثانى المطروح على الساحة العربية مشروعا هاشميا أيضا ، خرج من بغداد وخطط له نورى السعيد رئيس وزراء العراق عام ١٩٤٢م ، وقدمه فى ديسمبر من نفس العام إلى " ريتشارد كيزى " وزير الدولة البريطانى لشئون الشرق الأوسط ونشر باسم الكتاب الأزرق (١٦).

وقد اشتمل الكتاب الأزرق العراقى على دعوة لقيام اتحاد عربى يضم كل من الأقطار العربية الآتية :

١ - دولة سوريا الموحدة التى تضم كلا من سوريا ولبنان وفلسطين وشرقى الأردن .

٢ - العراق .

٣ - إعطاء الفرصة للأقطار العربية الأخرى للانضمام لهذا الاتحاد فى المستقبل .

٤ - إعطاء اليهود المقيمين فى فلسطين حكما ذاتيا (١٧).

وعقب نشر الكتاب الأزرق العراقى قام الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ومعه نورى السعيد رئيس وزراء العراق بزيارة للقاهرة . وتباحثا مع رئيس الحكومة المصرية آنذاك مصطفى النحاس بقصد الحصول على موافقة مصر أو على الأقل عدم معارضتها لقيام دولة الهلال الخصيب الاتحادية بزعامة العراق .

وشرح الجانب العراقى فكرة الاتحاد بأنه بين دولتين الأولى سوريا الكبرى والثانية العراق، ويقرر سكان سوريا الكبرى بأنفسهم نظام الحكم ملكى أو جمهورى ، ويمكن أن ينضم لهذا الاتحاد الأقطار العربية الراغبة ، على أن ينبثق عن الاتحاد أو التجمع مجلس يدير شئونه ويرأسه أحد رؤساء الدول الأعضاء باتفاق بقية الدول الأعضاء ، ويكون المجلس مسئولا عن شئون الدفاع والشئون الخارجية وشئون المواصلات والجمارك وحماية الأقليات (١٨).

إن نظرة إلى وثائق مشروع الهلال الخصيب كما جاءت فى الكتاب الأزرق العراقى يتضح الفرق بين هذا المشروع ومشروع سوريا الكبرى الأردنى ، ويتمثل هذا الفرق فيما يلى : -

١ - إن مشروع الهلال الخصيب لا يدعو إلى اندماج عام بين سوريا والعراق .

٢ - إن العراق لم يطالب بعرش دمشق كما فعل الأمير عبد الله .

٣ - إن مشروع الهلال الخصيب يهدف إلى إقامة اتحاد فيدرالى بين دولة سوريا الكبرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- التى تضم كـلا من القطر السـورى والقطر اللبنانى والقطر الفلسطينى والقطر الأردنى - ودولة العراق .

٤ - منح المشروع لليهود المقيمين آنذاك فى فلسطين استقلالا إداريا بدعوى أنهم لن يشكلوا خطرا يذكر وسط الدولة الكبيرة المقترحة .

٥ - هناك شبه بين مشروع سوريا الكبرى ومشروع الهلال الخصيب يتمثل فى أن الدوافع التى حركت الأمير عبد الله هى نفسها التى حركت نورى السعيد ، وأعنى طموح رجل السياسة وتحقيق المجد الشخصى لا العربى (١٩).

وكانت مواقف القوى المختلفة من المشروع على النحو الآتى :

أولا : على الرغم من أن نورى السعيد أعلن قرار العراق بالمشاركة فى الحرب مع الحلفاء ضد دول المحور فى يناير ١٩٤٣م عقب تقديم مشروع الهلال الخصيب لبريطانيا ، فان الحكومة البريطانية ردت على المشروع بتصريح للمستر أنطونى إيدن وزير الخارجية البريطانى فى مجلس العموم البريطانى بتصريح ٢٤ فبراير ١٩٤٣م جاء فيه : إن حكومة صاحب الجلالة الملك سوف تنظر بعين العطف نحو أية خطوة يخطوها العرب لتحقيق وحدتهم فى المجالات الاقتصادية والثقافية أو السياسية ، ويجب أن يكون واضحا أن الخطوة الوحدوية يجب أن تأتى من العرب أنفسهم وللآن فاننى ألاحظ أنه لم يطرح مشروع اتحادى يجد قبولا عاما بين العرب (٢٠).

كان هذا الموقف البريطانى يمثل الوضوح نحو مشروع الهلال الخصيب الذى أدركت أنه لتحقيق مطامع شخصية ولا ينبع من العرب الذين يشملهم ، وبالتالى لا يجد قبولا عربيا عاما يستلزم من الحكومة البريطانية تأييده فتكسب بذلك مزيدا من العداوة من تلك الشعوب التى سيفرض عليها الاتحاد .

فاذا أضفنا إلى ذلك عدم تسليم بريطانيا بفكرة دخول فلسطين فى دولة الاتحاد بزعامة الأمير عبد الله أو تلك التى يتزعمها الحكم الهاشمى فى العراق بسبب وعد بلفور للحركة الصهيونية أدركنا اعتراض بريطانيا من ناحية أخرى على مشروع الهلال الخصيب ، ولم يخدعها تأكيد المشروع على إعطاء حكم ذاتى لليهود المقيمين فى فلسطين .

ثانيا : لم يرحب الوطنيون فى سوريا ولبنان بمشروع الهلال الخصيب بل رفضوه كما رفضوا من قبل مشروع سوريا الكبرى . واختاروا النظام الجمهورى وأعلن استقلال كل من سوريا ولبنان كدولتين ذات سيادة عام ١٩٤٣م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا : لم يصدر عن الأردن ما يفيد الترحيب بمشروع الهلال الخصيب وظل الأردن متمسكا بمشروع سوريا الكبرى بدليل نشره الكتاب الأبيض الأردنى عام ١٩٤٧م .

رابعا : بالنسبة للسعودية فانها لم ترحب بالمشروع كما لم ترحب بمشروع سوريا الكبرى لأن أى قوة للهاشميين يثير قلق السعوديين باعتبار الهاشميين أعداء السعوديين منذ استولى الأخيرون على الحجاز من الملك على بن الشريف حسين فى عام ١٩٣٥م . كما لم يرحب نورى السعيد بانضمام السعودية للمشروع الاتحادى بدعوى أن السعودية مختلفة اقتصاديا مع العراق .

خامسا : بالنسبة لمصر فان نورى السعيد رغم طلبه عدم اعتراض مصر على إقامة الاتحاد أثناء زيارته مع الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق لمصر المذكورة سابقا ، إلا أنه لم يطلب انضمام مصر إلى الاتحاد بحجة أن مصر سكانها كثيرون بقدر سكان الهلال الخصيب أو أكثر كما أن لها مشاكلها الخاصة بالسودان . ولذلك من الطبيعى أن تعارض مصر مشروع الهلال الخصيب واتفقت فى ذلك مع السعودية (٢١).